﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾ [البلد: 18 - 20]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

بيان مصير المؤمنين وأضدادِهم من الكافرين بعد ذكر صفاتِ الكافرين والمؤمنين

لمّا ذكر الله تعالى بعضَ صفاتِ الكافرين السّيّئةِ المُشينة في أوّل السّورة، ثمّ وصف سبحانه هؤلاء المؤمنين بأوصافهم الفاضلة وأعمالهم الصّالحة؛ أردف ذلك بتبشيرهم بمكانهم يومَ القيامة ومكانِ أضدادهم من الكافرين[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾: مَفْعَلَة من الشَّأم، و(شأم) أصل واحدٌ يدلّ على الجانب اليسار. من ذلك المشأمة، وهي خلاف الميمنة[2]، أو مَفْعَلَة من الشّأمة (الشامَةُ): وهي الخالُ، وفيه سواد مجتمع، والشُّؤْمُ من الإبل: السّود، وعلى هذا فـ(شأم) أصلٌ واحد يدلّ على كثافة تعتري الظّاهر متركزةٍ عليه، حِسّيّة أو معنويّة، كالخال وكالسَّواد. وأمّا الشُّؤم - ضِدّ اليُمْن - فهو من معنوي ذلك؛ لأنّ به تستشعر النّفسُ وقوعَ مكروه، فيغشاها غمٌّ وكَرْبٌ (كثافة) لذلك[3]، وعلى الأوّل فالشّام: أرضٌ سُمّيت بذلك لأنّها من مشأمة القِبلة، وشأمتُ القوم: يَسّرتهم. والمشأمة أيضًا من الشُّؤم، ويُقال: رجل مشؤوم، وقد شئِم[4]. وأصحاب المشأمة في الآية هم أصحاب النّار[5].

2) ﴿مُّؤۡصَدَةُۢ﴾: (وصد) أصل يدلّ على ضمّ شيءٍ إلى شيء،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 171.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (شأم).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شأم).
(4) الخليل، العين: (شأم).
(5) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 23.

وأوصدت الباب: أغلقتُه، والوصيد: النّبت المتقارب الأصول. والوصيد: الفناء لاتّصاله بالرّبع. والموصَدُ: المُطْبَقُ[1]. وآصَدْتُ البابَ (لغةٌ في أوصدْته): إذا أغلقَته. ومنه قرأ أبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم وخلف العاشر وحمزة وصلًا: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [الهمزة: 8] بالهمز بمعنى مطبقة[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيان جزاء الأعمال الصّالحة والصّفات الفاضلة

يُخبر ربّنا سبحانه أنّ الّذين فعلوا الأفعال المذكورة من فكّ الرِّقاب وإطعام اليتيم وغيرِ ذلك أنّهم أصحاب اليمين، الّذين يُؤخذ بهم يوم القيامة ذاتَ اليمين إلى الجنّة، وأنّ الّذين كفروا بآيات اللّه العظيمة، وأعلاها مكانةً وقدرًا القرآنُ، هم الذين يُؤخذ بهم يومَ القيامة ذاتَ الشّمال إلى النّار، فجزاؤهم جهنَم، مطبَقةٌ مغلقَةٌ عليهم[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلّةُ فصْلِ الآية:

الاستئناف ببيان جزاء المبرّات وفضائل الصّفات

فُصِلَ قولُه تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ عمّا قبلَه لأنّه جاء على سبيل الاستئناف البيانيّ، فالسّامع إذا سمع ما تقدّم من صفات المؤمنين وأعمالهم الصّالحة ترقّب جزاءَ تلك الأعمال، فصُدِّر باسم الإشارة لأنّه يتضمّن جميعَ أعمالِهم المتقدّمة من فكّ الرّقاب وإطعامِ اليتيم والمسكين وغيرها، فالاستئناف لبيان أنّ هذه المبرّات والصّفات هي سبب كونِهم من أصحاب الميمنة، وكونِ أضدادهم من أصحاب المشأمة[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وصد).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات: (وصد).
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 431، ونخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 594.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/ 112، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 242.

بلاغة استعمالِ اسمِ الإشارة للبعيد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

التّنويه بشأن المؤمنين الصّالحين وبُعْدِ منزلتهم وعُلوِّ مكانتهم

صُدّر في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ باسم الإشارة للبعيد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ للتّنويه بشأن المتَّصفين بما سبق تفصيلُه في حيّز صلته من الأعمال الجليلة، وما فيه من معنى البُعد مع قُرب العهدِ بالمشار إليه؛ للإيذان ببُعْدِ منزلتِهم وعُلوِّ مكانتهم وارتفاعِ درجتهم في الشّرف والفضل؛ أيْ: أولئك الموصوفون بالنّعوت الجليلة المذكورة، وفيهِ دلالةٌ على أنَّهم متميِّزون بذلك أكملَ تميُّز، منتظِمون بسببه في سِلك الأمور المشاهَدَة، وللتّنبيه على أنّ ما يَرِدُ بعدَه من البشارة كانوا أحرياء بها، لأجل ما ذُكِر قبلَ اسم الإشارة[1].

بلاغة التّعبير بالجملة الاسميّة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾:

الميمنة للمؤمنين لا يشركهم فيها غيرُهم

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ جملة اسميَّةٌ، طَرفاها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ وهو المبتدأ، و﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ خبرُهُ، وقد وقعا مَعْرِفَتَيْنِ، وتعريفُ جُزأي الجملةِ مفيدٌ القَصرَ، فالمؤمنون المذكورون بأعمال البرّ مُنْفَرِدونَ بالميمنة وحدَهم، لا يَشْرَكُهُمْ فيها غَيْرُهُمْ.

نُكْتَة استعمالِ مفردة ﴿أَصۡحَٰبُ﴾:

مُلازَمة أهل الميمنة للجنّة وتصرّفهم فيها

ورد في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ لفظُ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾، وهو جمع صاحب، وأصلُ اشتقاقه دالٌّ على مقارنةِ شيء وملازمته، ولا يُقال في العُرف إلّا لمن كثرت ملازمتُه، كما يُقال للمالك للشّيء: هو صاحبه، وكذلك لمن يملك التّصرّف فيه، فأصحاب الميمنة هم أصحاب الجنّة يتصرّفون فيها كما يشاؤون، قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤﴾ [الزّمر: 74][2].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 9/ 192، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 84.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المُفردات: (صحب).

فائدة الجمع في كلمة ﴿أَصۡحَٰبُ﴾:

كلّ واحد منهم صاحبُ ميمنة لا يشاركه أحدٌ فيما أعطاه الله من النّعيم

في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ جاءت كلمة ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ جمعًا بعد ذكر اسم الإشارة الدّالّ على الجمع ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، بينما جاءت ﴿ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ مفردةً، فأفاد ذلك الجمع في ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ و﴿أَصۡحَٰبُ﴾ مع إفراد ﴿ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾، أن كلّ واحدٍ منهم يرى نفسَه صاحبَ الميمنة لا يشاركه فيها أحدٌ، ولا فيما أعطاه الله من النّعيم، يُعطَى كتابُه بيمينه، ويُسلَك به من طريق اليمين إلى الجنّة، وأنّ كلّ واحد منهم صاحبُ اليُمن والخير والسّعادة في نعيم الجنّة، فكأنّه يرى نفسَه في نعيم لم يبلغه أحد سواه، لأنّ مقابلة الجمع بالجمع تُنْتِج القَسَمة آحادًا.

دلالة إضافة ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ للفظ ﴿ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾:

أصحاب الميمنة هم أصحاب الجنّة المختصّون بها

أُضيف في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ لفظُ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ للفظ ﴿ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾؛ للدّلالة على اختصاصهم بها، وأصحابُ الميمنة هم أصحاب الجنّة، وتسميتُهم بأصحاب الميمنة إمّا لكونهم الّذين يُعطَون كتبَهم بأيمانهم، ويُسلَك بهم من طريق اليمين إلى الجنّة، أو أصحاب اليُمن والخير؛ لأنّ الصّلحاء ميامين على أنفسهم بطاعتهم وعلى غيرهم أيضًا، أو أصحاب اليد اليمنى، والمعنى: أنّ أولئك الّذين اقتحموا العقبة، ففكّوا الرِّقاب، وأطعموا المساكين، وواسَوْا ذوي القُربى في يوم المسغبة هم السُّعداء المُتَّعون بجنّات النّعيم، وهم الّذين عناهم الله تعالى بقوله: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾﴾ الآيات [الواقعة: 27 - 40][1].

نُكتَة التّعبير بلفظ ﴿ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾:

دلالة لفظ الميمنة على أكثر من معنى

ورد في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ لفظُ ﴿ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 78، والهرريّ، حدائق الرَّوح والرّيحان: 32/ 22.

وهو إمّا أن يكون (مفعَلَة) للمكان، مأخوذة من جهة اليمين؛ لأنهم يُعْطَوْنَ كتبَهم بأيمانهم، أو لأنّهم كانوا أصحابَ اليد اليمنى، أي: اليد الطّولَى والعُليا في الدّنيا[1]. أو مأخوذة من اليُمن، وهو سعة الخير وكثرة البركة، ومنه التَّيامُن، أي: التّفاؤل بسعة الخير وكثرة البركة، فقد قيل: إنما سُمّيت اليد اليُمنى يمينًا ويُمنى لأنّها أعْوَدُ نفعًا على صاحبها في يُسرِ أعماله، وعليه فهم أصحاب اليُمن والخير والسّعادة النّاجون، وهم أصحابُ الجانب الأشرف، الأعْلَوْنَ المكرَمون المُكَرَّمون، ولا مانع من إرادة كلّ هذه المعاني، فقد وُجِدَت وتَحَقَّقَت فيهم.

نُكْتَة التّعبيرِ بصيغة (مَفْعَلَة) في لفظ المَيْمَنَةِ:

الـدّلالـة على الـظّـرف مع كـثرة مـن فيه، والـدّلالـة على النّعيم الحِسّيّ والمعنويّ الكثير

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بصيغة (مَفْعَلَة) في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ لما تحمله هذه الصيغة على جملة من المعاني، إذ تأتي للدّلالة على المصدر، أي: اليُمْن، وهو كثرة البركة وسعة الخير، وللدّلالة على الزّمان أو المكان، أي: الزّمان أو المكان الذي يكون فيه كثرةُ البركة وسعة الخير مع الدّلالة على الكثرة في كلّ ذلك، والتّمييز بين هذه المعاني أو الجمع بينها إنّما يكون بالقرائن، فإن لم توجد ثَمَّ قرينةٌ فهو صالح للزّمان والمكان والمصدر[2].

والأصل في صيغة (مَفْعَلَة)، بفتح العين، الظّرف من اسم المكان والزّمان، وليس ذلك لمُطلق اسم الظّرف، بل لاسم ظرف بالنّظر إلى كثرة المظروف فيه.

بلاغةُ التّعبيرِ بالتّأنيثِ في المَيْمَنَةِ:

جاءت كلمةُ (المَيْمَنَةِ) مؤنثةً لدلالة تأنيث صيغة (مَفْعَلَة) على اسم المكان والزّمان (ظرف المكان والزمان) بالنظر إلى كثرة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 362.
(2) الحملاويّ، شذا العرف، ص: 59.

المظروف فيهما، وكثرة المتّصفين بها، فيجتمع بذلك الدّلالة على المصدر والظّرف والكثرة.

الكناية في لفظ ﴿ٱلْمَيْمَنَةِ﴾:

كناية الميمنة عن المرتبة السَّنيَّة وجِهة الكرامة

في قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ كنايةٌ عن المرتبة السَّنيَّة وجِهة الكرامة والعناية في عُرف العرب، ولمّا كانت جهةُ اليمين جهةَ مَكرُمةٍ تعارفوا الجلوسَ على اليمين في المجامع كرامةً للجالس، فأصحابُ الميمنة: أي: أصحاب الكرامة عند الله ﷻ، وهم أهل السّعادة النّاجون، الّذين يُعطَون كتبَهم بأيمانهم، وهم من أصحاب الجانب الأشرف المُكْرَمون[1].

نوع الواو ودلالتُها في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾:

احتمال الواو للعطف والاستئناف

يجوز في الواو من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أن تكون لعطف الشّيء على مقابِله، فلمّا ذَكَر النّظمُ الكريم أصحابَ الميمنة عطفَ عليه بذِكْر أضدادهم من أصحاب المشأمة، الّذين صدّوا عن سبيل الله سبحانه، وتواصَوا بالإثم وتواصَوا بالعدوان ومعصية الرّسول[2]. ويجوز أن تكون الواو للاستئناف بتفصيل أحوال أضداد الفريق الأوّل وبيانِ مصيرهم[3].

غرض التّعبير بالاسم الموصول ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

كفرُ الكافرين بآيات ربّ العالَمين سببُ استحقاقهم العذابَ المُهين

استُعمِلَ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الاسمُ الموصول (الذين) وصلته ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ لنُكْتَةِ الذّمّ والتّقريع بما في حيّز الصِّلة، والإشعارِ بعِلّة الحُكم، فأوّل ما يُذَمّ به الكفّارُ كُفرُهم، ولهذا كثُر استعمالُ هذا التّعبيرِ في القرآن الكريم، فهو لفظٌ مطلقٌ يتناول كلَّ من صمَّم على الكفر ومن لم يصمِّم،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 29/ 387، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 362.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 78، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 23.
(3) القونويّ، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 20/ 684.

وكذلك للإشعار بأنّ كفرهم هو العِلّة في كونهم أصحابَ المشأمة المستحقّين للنّار المُؤصَدة.

سبب إيراد الاسم الموصول جمعًا في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

جاء الاسم الموصول جمعًا في قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾؛ وفي ذلك إيماءٌ إلى كثرة الكفّار بآيات ربّ العالَمين، الّذين صَدّق عليهم إبليسُ ظنَّه، فقد أقسم الملعون بأنّه سيُغوي ما استطاع من بني آدمَ، كما ورد في الآية: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: 39 - 40][1].

كـثرة المُخالفين لـلـهـدى مـن الكفّار والمُكذّبين

نُكْتَة ذِكر الكفر دون الشّرك في الآية:

أوثِر في قوله تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ التّعبيرُ بوصف الكفر دون الشّرك لقصد العموم، فالكفر خصالٌ كثيرة، وكلُّ خَصْلَة منها تُضادّ خصلةً من الإيمان؛ لأنّ العبد إذا فعل خَصْلةً من الكفر، فقد ضيّع خصلة من الإيمان، وأمّا الشِّرك فهو خصلةٌ واحدة، وهو إيجاد إله أو آلهة مع الله أو دونَ الله، واشتقاقه يُنبِئ عن هذا المعنى، فلفظُ الشِّرْكِ مأخوذ من الشّريك، فالكافر الذي لم يجعل لله شريكًا ليس مشركًا[2]؛ وبذلك يكون الكفر أعمَّ من الشِّرك[3].

الكفر أعـمّ من الـشّـرك دلالـةً وأكثرُ خصالًا

كما أنّ سياق الآيات في ذكر انقسام النّاس يوم القيامة إلى مؤمنين أصحاب ميمنة وكافرين أصحاب مشأمة، فناسبَ إيرادُ لفظِ الكفر؛ لأنّه نقيض الإيمان، في حين أنّ الشّرك نقيض التّوحيد[4].

يـوم الـقيامة ينقسم النّاس إلى أصـحـاب يمين وأصحاب شمال

دلالةُ التّعبيرِ بالماضي ﴿كَفَرُواْ﴾:

جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ الفعلُ ﴿كَفَرُواْ﴾

(1) الآلوسي، روح المعاني: 1/ 242.
(2) ابن حزم، الفِصَل: 3/ 264.
(3) النّوويّ، شرح مسلم: 1/ 62.
(4) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 230.

بصيغة الماضي؛ للدّلالة على تحقّق كفرِ الكافرين في دار الدّنيا، ورسوخِ هذا الوصف فيهم؛ وذلك لأنّ الإخْبارَ عَنِ الشّيْءِ بصيغَةِ الماضي يَقْتَضي تحقُّقَ الخبرِ، ويقتضي كَوْنَ المخْبَرِ عنه متقدِّمًا على ذلك الإخبار[1].

تحقّقُ كفرِ الكافرين في دار الدّنيا ورسوخُهم فيه

نوع الباء في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾:

الباء في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ دالّةٌ على التّعدية؛ وذلك لأنّ الفعل (كفر) قد يتعدّى بغير الحرف نحو قولِه تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾ [هود: 60]، وقد يتعدّى إلى مفعوله بحرف الجرّ الباء، وهو الأكثر، والمقصود أنّ كفر الكافرين تعدّى إلى الكفر بآيات اللّه العظيمة.

تَعَدّي الكفّار من الكفر بالله إلى الكفر بآياته العظيمة

نُكْتَة التّعبير بالآيات:

ورد في قوله تعالى: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ لفظُ الآيات، وهو جمع آية، وآيات اللّه تعالى هي حُجَجُه وأدلّتُه على ربوبيّته وألوهيّته، وما جاءت به رسلُه من شواهد على صدق ذلك[2]، فيدخل فيها الآيات الآفاقيّة والآيات الأنفسيّة، أو الآيات العُلويّة والآيات السُّفليّة، وآياتُ الرُّسل، وهي المعجزات التي أيّدَ اللّه بها رسلَه، ويدخل فيها كذلك الآياتُ السّمعيّة التي جاءت على ألسنة الرُّسل، كالتي في القرآن وغيره من الكتب السّماويّة[3].

كثرة آيات الله تعالى التي هي حججه وأدلّتُه على ربوبيّته وألوهيّته وصِدق رُسُلِه

فائدة جمع الآيات في الآية:

جاءت كلمة (الآيات) في قوله تعالى: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ مجموعةً؛ للدّلالة على كثرتها ووفرتها وتنوّعها، فهي علامات كثيرة ودلائلُ متوفّرة ومتنوّعة على اللّه تعالى واستحقاقِه العبادةَ، وتَشَخُّصُها

كثرةُ آياتِ الله تعالى ووفرتُها وتنوّعُها

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 2/ 283.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 1/ 552.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 23.

في الآيات الكونيّة ظاهرٌ، وأمّا في الآيات الشّرعيّة ففيها معنى الجسامة المعنويّة، فهي لظهورها ووضوحِها كالشّيء المتشخِّص الّذي لا يخفى.

دلالة إضافة (آيات) للضّمير:

زيادة التّشنيع على الكفّار بأنّهم كفروا بكلّ آيات الله

إضافة الآيات إلى الضّمير في قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يفيد العموم، وإنّما أفادت الآية ذلك المعنى بسبب إضافة الجمع إلى المعرفة، والمعنى: كفروا بكلّ آياتنا، وكيف يكون المعنى: كفروا بكلّ آياتنا، وهم لم يكفروا بكلّ آيات الله تعالى، فالجواب: إنّما حُكِمَ عليهم بالكفر بكلّ الآيات؛ لأنّ مَنْ كَفَر برسولٍ واحدٍ أو معجزةٍ واحدةٍ أو آيةٍ واحدةٍ؛ فقد كفر بسائر الرّسل والمعجزات والآيات، ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشّعراء: 105] و﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشّعراء: 123]، وقولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾ [القمر: 23] و﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾﴾ [القمر: 33]، أو حُكِمَ عليهم بذلك لأنّ الله تعالى أخبر بكلّ آياته في القرآن إجمالًا أو تفصيلًا، فمن كفر بالقرآن فقد كفر بكلّ ما احتواه وتضمّنَه من الآيات.

دلالة إضافة (آيات) لضمير العظَمة (نا):

الكُفْرُ بما جاءَ عَنِ العَظيمِ عَظيمٌ شنيع، والكفر بآيات العظيم مع كثرتها أعظم

إضافة الآيات إلى ضمير العظَمة (نا) الرّاجع إلى الله تعالى في قوله: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يُراد به تعظيمُ المضاف وهو الآيات، لاسيما وأنّ الضّمير جاء بأسلوب العظَمة؛ لزيادة المهابة وإدخالِ الرّوعة في نفوس المتلقّين. وفي تعظيم الآيات على النّحو المتقدّم إظهارٌ لكمال قُبحِ الكفر بها[1]. كما يُرادُ به زيادةُ التّشنيع عليهم؛ إذِ الكفرُ بما جاء عَنِ العظيم الجليل بالغٌ في الشّناعةِ غايَتَها[2].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/ 93.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 1/ 277.

ويزيدُ الأمرَ شناعةً جمعُ الآياتِ وإضافتُها إلى ضمير (نا)، الذي يفيد العموم؛ فهم إن كَفَروا بآية واحدةٍ من آيات الله تعالى كان ذلك شنيعًا، فكيف وقد كفروا بكلّ آيات الله تعالى.

بلاغة الإيجاز بذِكر الكافرين بأنّهم كفروا بآياتنا:

التّعبيرُ عن الكفّار بأنّهم كفروا بآيات الله تعالى يُغني عن ذِكر كفرهم بغيرها؛ لأنّ الكفر بآيات الله يَلزَم منه الكفرُ بكلّ شيء ورد فيها أو أشارت إليه، لا سيما إذا كان المُراد بآيات الله آياتُه التّنزيليّة التي حواها القرآنُ الكريم.

غرض استعمال ضمير الفصل ﴿هُمْ﴾:

ذكرت الآيةُ ضميرَ الفصل ﴿هُمْ﴾، على أحد الوجهين في إعرابها، بما يفيده من القصر والاختصاص؛ للدّلالة على أنّهم أصحابُ المشأمة وحدَهم دونَ غيرهم، وأنّهم مختصّون بالعذاب فيها.

غرض استعمال ضمير الغائب ﴿هُمْ﴾:

أوثِر في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ التّعبيرُ بضمير الغَيبة ﴿هُمْ﴾ لنُكتة الدّلالة على سقوطهم عن شرف الحضور، وأنّهم أحقّاء بالإخفاء والتّجاهل، قال ربُّنا سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: 15][1].

نُكْتَة التّغاير بين التّعبير عن الفريقين:

المباينة التّامّة بين الفريقين بتكريم المؤمنين بالإشارة، وإهانةِ الكافرين بالغَيبة

يُلاحظ أنّ النّظم المعجِز قد خالف في التّعبير عن الفريقين في قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾، فقد أشار إلى المؤمنين، والإشارة لا تكون إلّا لحاضر، وليسوا حاضرين عند أيّ أحد، بل هم حاضرون عنده تعالى في مقام كرامته وبمثابة الجالسين أمامَه، وفي ذلك تكريمٌ لهم، لا

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 23.

يعدو الأمر أكثرَ من الإشارة إليهم، ثمّ استعمل لفظَ الإشارة الدّالّ على البُعد، فلم يقل هؤلاء إيذانًا ببُعد منزلتِهم وعُلو مكانتِهم ورِفعة شأنِهم عنده، ونيلهم شرفَ الحُظوة والقُرب منه، أمّا الكافرون فقد ذكرهم بضمير الغَيبة، إشارةً إلى أنّهم غائبون عن مقام الحضور والتّشريف، وأنّهم لا يستأهلون أن يَمُتّوا إليه ولو بأوهن الأسباب[1].

بلاغة الجملة الاسميّة ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾:

قَـضـر المشـأمـةِ عليهم وحدَهم دونَ من سواهم

قوله تعالى: ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ جملة اسميَّةٌ، طَرفاها: ﴿هُمْ﴾ -وهو مبتدأٌ-، و﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ -وهو خبرُهُ-، على أحد الوجهين في الإعراب؛ للدّلالة على أنّهم أصحاب المشأمة وحدَهم دون غيرهم، وأنّهم مختصّون بالعذاب فيها دونَ من سواهم، ويجوز أن يكون ﴿هُمْ﴾ ضميرَ فصلٍ لا محلّ له من الإعراب، على الوجه الثّاني في الإعراب، ويكون الغرضُ البلاغيُّ منه تقويةَ الحُكم وليس للقَصْر، إذ قد استُفيد القَصْرُ من ذِكر الجملة المُضادّة للّتي قبلَها، وهي: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾[2]، ويمكن أن يكون الغرضُ البلاغيُّ منه القَصْر، ويدلّ على القَصْر أكثرُ من طريق، ويكون ذلك أقوى في الدّلالة على القَصْر من أن يدلّ اللّفظ على القَصْر بطريق واحد.

نُكْتَة استعمالِ مفردة ﴿أَصْحَٰبُ﴾:

مـلازمـة أهـلِ المشـأمـة للـنّـار وخلودُهم فيها

ورد في قوله تعالى: ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ لفظُ ﴿أَصْحَٰبُ﴾، وهو جمع صاحب، وأصلُ اشتقاقه دالٌّ على مقارنة شيء وملازمتِه، ولا يُقال في العُرف إلّا لمن كَثُرت ملازمتُه له، فأصحابُ المشأمة هم أصحابُ النّار، خالدون فيها ملازمون لحَرِّها، مُقاسون لسائر عذابها[3].

(1) درويش، إعراب القرآن: 10/ 492.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 363.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المُفردات: (صحب).

فائدة الجمع في كلمة ﴿أَصۡحَٰبُ﴾:

كلّ واحد منهم صاحب الميمنة، لا يشاركه أحدٌ فيما أعطاه الله من النّعيم

في قوله تعالى: ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ جاء الجمع في كلمة ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ بعد الموصول الدّالِّ على الجمع ﴿وَٱلَّذِينَ﴾، وواو الجمع التي لحقت الفعل الماضي ﴿كَفَرُواْ﴾، وضمير الجمع ﴿هُمۡ﴾، فأفاد الجمع في ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ أنّ كلّ واحدٍ منهم يرى أنّه صاحبُ المشأمةِ وحدَه، لا يشاركه أحدٌ فيما يَجدُه فيها من شِدّة الحَرّ وأليمِ العذاب وعظيمِ الخِزي والذُّلّ، وكأنّه يرى نفسَه وحدَه في عذاب لم يبلغه أحدٌ سواه، لأنّ مقابلة الجمع بالجمع تُنْتِج القَسَمة آحادًا.

دلالة إضافةِ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ للفظ ﴿ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾:

أصحابُ النّارِ مشائيمُ على أنفسهم بمعصيتهم

أضيف في قوله تعالى: ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ لفظُ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ للفظ ﴿ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾؛ وذلك للدّلالة على اختصاصهم بها، وأصحابُ المشأمة هم أصحاب النّار، وتسميتُهم أصحابُ المشأمة لأنّهم الّذين يُعطَون كتبَهم بشمائلهم ومن وراءِ ظهورهم، ويُسلَك بهم شمالًا إلى النّار، أو لأنّهم أصحابُ الشّؤم والشّرِّ والشّقاوة؛ لأنّ الفسّاقَ مشائيمُ على أنفسهم بمعصيتهم وعلى غيرهم أيضًا؛ أي: هم أهل الشِّمال الّذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ۝٤٢﴾ الآيات[1] [الواقعة: 41 - 44].

نُكْتَة التّعبير بأصحاب المشأمة دونَ أصحاب الشّمال:

الدّلالة على أهل الشّؤم ومكانِهم وزمانِهم مع الدّلالة على كثرتهم

في قوله تعالى: ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ آثَر النّظمُ الكريم لفظَ ﴿ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ على لفظ (الشّمال)؛ لما في لفظ ﴿ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ من دلالات متعدّدة ومعانٍ شتّى، فمنها: دلالتُه على صفات الكفّار، فهم أهل الشّؤم. ومنها: دلالتُه على مكانهم وزمانهم، فالمشأمة هي مكان أهلِ الشّؤم، وهو النّار، وهي زمانُهم أيضًا، وهو يوم القيامة الممتد إلى الأبد، كلّ ذلك مع الدّلالة على كثرة أهلِ الشّؤم، هؤلاء في نار جهنّم

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 23.

خالدين فيها أبدًا، بينما لفظ (الشّمال) لا يدلّ إلّا على الجهة، وقد يُفهَم من هذا معنى الشّؤم والتّشاؤم تبعًا لمعنى الجهة، لكنّه لا يدلّ على غير ذلك.

بديعُ مُحَسّنِ الطِّباق بين الميمنة والمشأمة:

بضِدِّها تتمايز الأشياء

في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ طباقُ إيجابٍ بين لفظَي ﴿ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ و﴿ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾، وهو مُحَسِّن معنويٌّ، فبين تقابل اليمين والشّمال وتخالفِهما تضادٌ يُثير الذِّهْنَ، ويجذبُ الانتباهَ، ويزيد الكلامَ حُسنًا وطَرافة، كما يُقوّي المعنى، إذ بضِدّها تتمايز الأشياء.

نُكْتَة التّعبير بلفظ ﴿ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾:

المشأمة مفعلَةٌ من الشَّأمِ أو منَ الشُّؤمِ

ورد في قوله تعالى: ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ لفظُ ﴿ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾، وهو مفعَلَة للمكان مأخوذة من معنى الشَّأم (الشّمال)، وهو ضِدّ الميمنة، أو من معنى الشُّؤم، وهو ضِدّ اليُمْن، ونشأ على اعتبار ذلك تسميةُ بلاد الشّام شأمًا بالهمز؛ لأنّ بلاد الشّام من جهة شمال الدّاخل إلى الكعبة، وقد أبطل الإسلامُ ذلك بقول النّبيّ ﷺ: «اللّهُم بارك لنا في شامنا وفي يَمَنِنا»[1]، وما تسميتُهم ضدَّ اليد اليمنى يسارًا إلّا لإبطال ما يُتوهَّم من الشّؤم فيها[2].

الكناية في لفظ ﴿ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾:

كناية المشأمة عن المرتبة الدّنيّة وجهةِ الإهانة

لفظ ﴿ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ كنايةٌ عن المرتبة الدّنيّة وجهةِ الإهانة في عُرف العرب، ولمّا كانت جهةُ اليمين مَكْرُمة كانت جهة الشّمال بضِدّها، أي: هم مُحَقّرون؛ وذلك كنايةٌ مبنيّةٌ على عُرف العرب يومئذ في مجالسهم، ولا ميمنةَ ولا مشأمةَ على الحقيقة؛ لأنّ حقيقة الميمنة والمشأمة تقتضيان حيّزًا

(1) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (1037).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 362.

لمن تُنسَب إليه الجهةُ، فأصحابُ المشأمة أصحابُ الذُّلِّ والمهانة، وهم أهلُ الشّقاوة الّذين يُعْطَون كتبَهم بشمالهم مُهانين[1].

بلاغة التّتميم في الآية:

التّتميم بذَمّ الإنسان سيّءِ الأقوال والأفعال

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ تتميمٌ لما سبق من ذَمّ الإنسان المذكور آنفًا، إذ لم يُعقِب ذَمَّه هنالك بوعيده عنايةً بالأهمّ، وهو ذِكر حالةِ أضدادِه ووعدِهم، فلمّا قُضيَ حقُّ ذلك ثُنيَ العِنانُ إلى ذلك الإنسان، فحصل من هذا النّظم البديع مُحَسِّنُ رَدِّ العَجُزِ على الصَّدر[2].

عِلّة فصلِ جملة ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾:

فصل الجُمَلِ لتمام امتزاجِها أو الاستئنافِ بها

فُصِلت الجملةُ في قَوْله تَعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ عن سابقتها لوجود كمال الاتّصال بينهما، وهو اتّحاد الجُملتَين اتّحادًا تامًّا، وامتزاجًا معنويًّا، بحيثُ تُنزَّل الثّانيةُ من الأولى منزلةَ نفسِها[3]، فقد وقعت هذه الجملة خبرًا ثانيًا عن المبتدأ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾، أو بدلَ اشتمالٍ من جملة ﴿هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾، أو يكون سببُ فصلِ هذه الجملة عمّا قبلَها أنّها استئنافٌ بيانيٌّ ناشِئٌ عن الإخبار عنهم بأنّهم أصحابُ المشأمة[4]، إجابةً لسؤال اقتضاه المقام، فكأنّ سائلًا سأل: وما جزاءُ أصحابِ المشأمة؟ فكانت الإجابة ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾.

بلاغة حرف الاستعلاء ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

تسليط النّار المُؤصدة على الكفّار ولزومُها لهم

ورد في قَوْله تَعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ حرفُ الجَرّ (على) الدّالّ على الاستعلاء، فيمكن أن يكون الاستعلاءُ حقيقيًّا، فالنّارُ تغشاهم من فوقهم كما قال ربُّنا سبحانه: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 29/ 387، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 362.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 363.
(3) القزوينيّ، الإيضاح: 3/ 108.
(4) درويش، إعراب القرآن: 10/ 490، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 363.

مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ﴾ [الزّمر: 16]، وقولُه: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ﴾ [الأعراف: 41]، وقولُه: ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ﴾ [العنكبوت: 55]. وقد يكون الاستعلاءُ مجازيًّا، بمعنى اللّزوم لهم وإن كرهوا، فهي مسلّطةٌ عليهم لا فكاك لهم منها[1]. وحرفُ الجَرّ (على) يُشير هنا إلى استعلاء النّار على الكفّار بمعنييه الحقيقيّ والمجازيّ.

غرض تقديم ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ على ﴿نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾:

الاهتمام بتحقّق إطباقِ النّار عليهم تعجيلًا للتّرهيب مع القَصْر والاختصاص

تقدَّمَ في قَوْله تَعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ شِبهُ الجملة ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾، وهو متعلّق بـ ﴿مُّؤۡصَدَةُۢ﴾، وقُدِّم على عامله لنُكْتَة الاهتمام بتحقّق غَلْقِ النّار عليهم؛ تعجيلًا للتّرهيب، فهم أحقّاء بالنّار لكفرهم بآيات اللّه العظيمة، وقد استتبَّ أيضًا بهذا التّقديم رعايةُ الفواصل بالهاء، ابتداءً من قوله: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾[2]، ومع بلاغة هذا المعنى فقد أفاد تقديم ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ هنا القَصْرَ والاختصاص أيضًا؛ أيْ: عليهم وحدهم دون غيرهم، يختصّون بذلك من بين سائر الخَلْق يومَ القيامة.

غرضُ تنكير لفظ ﴿نَارٞ﴾:

عظمة النّارِ المُؤصَدة على الكفّار

وَرَدَ لفظُ ﴿نَارٞ﴾ في قَوْله تَعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ نكرةً، والنّكتة البلاغيّة في ذلك أنّ التّنكير يدلّ على الإبهام والتّعظيم والتّهويل، والإبهامُ له علاقةٌ مباشرةٍ بالتّعظيم والتّهويل، فإنّ من أراد أن يُعظِّمَ شيئًا أبهمَه، بحيثُ لا يُكتَنَه وصفُه، وتذهب النّفسُ فيه كلَّ مذهب، فتوعّد اللّه سبحانه أصحابَ المشأمة بنارٍ عظيمة شديدة هائلةٍ لا يُكتَنَهُ كُنهُها.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 89.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 363.

بلاغة القراءات المتواترة في ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾:

دلالة كلٍّ منها على معنًى مختلف

تنوّعت القراءة في قَوْله تَعالى: ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾، فقرأه بالهمز أبو عمرو، ويعقوب وحمزة وصلا وخلف العاشر وحفص، وقرأه الباقون بغير همز: ﴿مُّوصَدَةٌ﴾[1]، وثمّة فرقٌ بين ﴿مُّوصَدَةٌ﴾ و﴿مُّوصَدَةٌ﴾، والخلاصة: أنّ ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ من (أصَدَ)، وهو: نوع إحكام وحَجْبٍ للشّيء بما يَسُدّ المنفذَ إليه بإغلاق بابه بإحكام، وإطباق البابِ عليه، بينما ﴿مُّوصَدَةٌ﴾ من (وصد)، وهو إحكام حَجْبٍ للشّيء بما يَسُدّ المنفذ إليه من جوانبه بإحكام هذه الجوانب بالحجارة، أو ما يشبهها، كالوَصيدَة التي تُتَّخَذُ من الحجارة لحفظ المال (الخزنة)، ففي كلّ واحدة من القراءتين معنًى يُكَمِّل الآخر، فإحداهما تدلُّ على إحكام حَجْبٍ للشّيء بما يَسُدّ المنفذ إليه في بنائه من جوانبه، والأخرى تدلّ على إحكام حَجْبٍ للشّيء بما يَسُدّ المنفذ إليه من بابه، بإغلاق هذا الباب بإحكام، وإطباق الباب عليه.

بلاغة المجاز في الآية:

المجاز العقليّ في إسناد المُؤْصَديّة إلى النّار

وُصِفت النّار في قَوْله تَعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ بأنّها ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾، فيجوز أن يكون مجازًا بالحذف، ويكون أصل المعنى: نارٌ أبوابُها مغلقةٌ عليهم، لا يُفتح لهم باب، فلا يُخرج منها غمّ، ولا يدخل فيها رَوْح أبدَ الآباد، إلّا أنّها جُعِلت صفةً للنّار إشعارًا بإحاطتها بهم، فأصلُ التّركيب: مؤصدةُ الأبواب، فلمّا تُركت الإضافةُ عاد التّنوين إليها؛ لأنّهما يتعاقبان، ويجوز أن يكون إسنادُ المُؤْصديّة إلى النّار مجازًا عقليًّا، والموصد هو موضع النّار، أي: جهنّم. والمقصود: أنّ عليهم نارًا مطبقةً في جهنّم مغلقة عليهم، فلا يستطيعون الفكاك منها، ولا الخلاص من عذابها، أعاذنا الله سبحانه وجميعَ المسلمين منها بمنِّه وكرمه، وجعلنا من أصحاب الميمنة[2].

(1) ابن الجزريّ، النّشر: 1/ 395.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 364، والهرريّ، حدائق الرَّوح والرّيحان: 32/ 23.

فائدة التّقابل بين الفريقين في الآيات:

وضـوح جـزاء أهل اليُمْن وأهلِ الـشُّـؤْم وبـيـانُ سببِ ذلك

ذكرتِ الآياتُ التّقابلَ أو المقابلةَ بين ما فعلَهُ كلٌّ من أهل اليُمْن وأهلُ الشُّؤْم في الدّنيا، وما ترتّب على ذلك من الجزاء في الآخرة، والتَّقابُل هنا تَقابُلٌ بالتّضادّ، والمقابلة أسلوبٌ عربيٌّ يُبْرِز المعنى بجلاءٍ ووضوح، فذِكْرُ الضِّدَّين يَزيدُ في بيان كلٍّ منهما، ويُبْدي ما خَفي مِنْهُما، وقد قالوا: وبضِدِّها تتميَّزُ أو تتبيَّنُ الأشياءُ.

بلاغة الاحتباك في الآيات:

الإيجاز والإبداع

في الآية احتباكٌ، تقديره: ثمّ كان من الذين آمنوا بآياتنا وتواصَوا بالصّبر وتواصَوا بالمَرحمة، أولئك أصحاب الميمنة، لهم جنّةٌ واسعة عالية منعَّمَة، والذين كفروا بآياتنا وتواصَوا بالجَزَع وتواصَوا بالقَسْوة هم أصحاب المشأمة، عليهم نارٌ مُؤْصَدة، وإنّما ذُكِرَ ما ذُكِرَ وحُذِفَ ما حُذِفَ لفوائدَ متعدِّدةٍ ومتنوّعة، فذِكْرُ أصحابِ الميمنة مُغْنٍ عن ذِكْرِ جزائهم؛ لأنّ ذلك من لوازم عدلِ الله تعالى أن يُثيبَ مَن هذه صفتُهم، وذِكْر أصحابِ المشأمة مُغْنٍ عن ذِكر سببِ ذلك، فإنّ ذِكرَ السّببِ من أنّهم كفروا بآياتنا وتواصَوا بالجَزَع وتواصَوا بالقَسْوة لا يَدُلُّ على أنّهم أصحابُ المشأمة، فقد يعفو الله عنهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(اليمين والميمنة) و(الشّمال والمشأمة):

دلالـــــةٌ عـلى الـصّـفـة والمكـان والزّمان والكَثْرة، ودلالـــــةٌ عـلى المكان، أو المكان والصّفة

أتت كلمةُ (الميمنة) على صيغة (مفعلة)، وهذه الصّيغة تأتي للدّلالة على جملة من المعاني، إذ تأتي للدّلالة على المصدر، واسم الزّمان، واسم المكان، وللدّلالة على الكثرة أو سببِها أو هما معًا[1]، والأصل في هذه الصّيغة الظّرف من اسم المكان والزّمان، وليس

(1) الرّضيّ، شرح شافية ابن الحاجب: 1/ 162، 184، 185، 188.

ذلك لمطلق اسم الظّرف، بل لاسم ظرف بالنّظر إلى كثرة المظروف فيه، فاسم الظَّرف دلالة المَفْعَل، والكثرة دلالة التّاء، وهذا معنى قولهم: جاءت هذه الصّيغة مؤنثةً لدلالة تأنيث صيغة (مفعلة) على اسم المكان والزّمان (ظرف المكان والزمان) بالنّظر إلى كثرة المظروف فيهما، فيجتمع بذلك الدّلالة على الظّرف والكثرة، بينما لفظُ اليمين أو الشّمال يدلّ على المكان فقط، أو المكان والصّفة.

المُؤصدة والمُغلقة:

المُـؤصـدة تـدلّ عـلـى إحـكـام الإغلاق بسَدِّ كلّ المنافذ، بخِلاف الإغلاق

و﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ معناها مطبقة محكمة الإغلاق؛ لأنّ الإيصاد: هو إحكامُ حَجْب الشّيء وحْدَه، بما يَسُدّ المنفذ إليه، كالأُصْدة للعورة، ومنه: آصَدتُ البابَ، إذا أطبقتُه[1]، بمعنى لا ضوءَ ولا مخرجَ ولا فرج فيها، فهي مغلّقة لا تفتح إلّا لإدخال العُصاة، بينما المغلقة لا تدلّ إلّا على معنى الإغلاق.

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أصد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والستون،
سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 67 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-69-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 67 : المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-69-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4934554 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"